### الركن الهيجاوي

مات بمِصْر في الحبس، وكان قد قفز إلى دمشق من غير عادة، وكان الصَّالح أيوب قد أحسن إليه، وقدَّمه على العساكر.

## السنة الخامسة والأربعون وست مئة

فيها تسلم نواب الصَّالح أيوب قلعة الصُّبَيْبَة من نواب [الملك السَّعيد بن][1] العزيز، وأقطعه بمصر إقطاعاً، وأعطاه مئة ألف درهم، وخمس مئة قطعة قُماش، وخبزاً لمئة وخمسين فارساً.

ونازل فخر الدين بن الشيخ طبرية ففتحها عَنْوَة، وحاصر عَسْقلان، وقاتل عليها قتالاً عظيماً، وفتحها في جمادى الآخرة.

وتسلم نواب الصالح قلعة شميميش من ابن صاحب حمص، [فحصَّنها][2]، وبعث إليها الخزائن، ونزل عسكر حلب على حمص، وأخذها في السنة الآتية.

قال المصنف رحمه الله: وفيها فوض إليَّ الأمير عِزُّ الدين أيبك النَّظر في أوقافه ومدارسه وأبواب البر، [على كره مني وحياء منه][2].

وفيها قدم تاجُ الدِّين بن مهاجر من مِصْر إلى دمشق، ومعه المبارز نَسِيْبُه، ومعهما تذكرة فيها أسامي جماعة من الدماشقة بأن يحملوا إلى مِصْر، فَحُملوا، وهم القاضي محيي الدين بن الزكي وابن الحَصِيري، وابن العماد الكاتب، وبنو صَصْرى الأربعة وشرف الدين بن المعتمد، وابن الخطيب العَقْرباني، والتَّاج [الإسكندراني][2] الملقب بالشُّحرور، وأبو الشَّامات [مملوك إسماعيل][2] والحكيمي مملوك إسماعيل، وغازي والي بُصْرى، وابن الهادي المحتسب، وأخرج العماد ابن خطيب بيت الآبار من جامع دمشق [إلى بيت الآبار][2]، وولَّى العماد [بن][2] الحرستاني [القاضي][2] الخطابة [بجامع دمشق][2] في رجب.

---

(١) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٨٢، وقد ذكر ذلك في حوادث سنة (٦٤٤هـ)، وذكر المقريزي هذا الخبر في «السلوك»: ج١/ ق٢/ ٣٢٩ في حوادث سنة (٦٤٥هـ) كما ذكره المصنف.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

وسَبَبُ حمل الجماعة المذكورين إلى مصر أَنَّه نُقِلَ إلى الصَّالح أيوب أنهم خواصُّ الصَّالح إسماعيل، فخاف أن يجري ما جرى في النَّوْبة الأولى من أَخْذِ دمشق، ولما وصلوا إلى مِصْر أقاموا بحسب اختيارهم، وخَلَعَ على بعضهم، ومات ابنُ الهادي، وعاد الباقون بعد وفاة أيوب إلى دمشق.

وفي ثالث عشر ذي القَعْدة اعتُقِلَ عِزُّ الدين أيبك في دار فَرُّخْشاه بتواطؤ من ابن مطروح وغيره، ووضعوا مترجَماً[1] جاءه من حلب من عند إسماعيل، فكتبوا إلى الصَّالح أيوب وأخبروه، فأمر أن يحمل إلى القاهرة تحت الحوطة، فأنزل دار صواب، فاعتقل فيها، وكان إبراهيم ابن جاريته المنتحل إليه قد مضى إلى الصالح أيوب، ووشى به.

قال المصنف رحمه الله: بلغني أَنَّه قال لأيوب: أموالُ أبي قد بَعَثَ بها إلى الحلبيين، وأول ما نزل بها من صرخد كانت ثمانين خرجاً، فأودعها عند فلان. عني.

وقال: وبلغ عز الدين اجتماعه بأيوب، فمرض، ووقع إلى الأرض، وقال: هذا آخر عهدي. ولم يتكلَّم بعدها حتى مات، ودفن بباب النَّصْر، فيا ليته عاش حتى رأى في أعدائه العِبَر، أما ابن مطروح فرأى الذُّلَّ والهوان، [ولعب به القدر][2]، ولم يمت حتى ذهب بصره. وأما غيره، فانتثر لحمه عن عظامه، [وارتحل بآثامه][2].

ولما سعى إبراهيم بعز الدين سعى بحاشيته، وقال: عندهم أمواله مثل البرهان [كاتبه][2]، وابن المَوْصلي صاحب ديوانه، والبَدْر الخادم، ومسرور، وغيرهم، فأمر أيوب بحملهم إلى مِصْر، فأما البرهان فمن خوفه يوم أخرج ليتوجَّه إلى مِصْر مات بمسجد النارنج، والباقون حُملوا إلى مِصْر، ولم يظهر عليهم مما قيل دِرْهم، ورجعوا إلى دمشق بعد وفاة أيوب وقد لاقوا الشَّدائد، وختم للأمير عز الدين بالشَّهادة، [كما عاش في دنياه تحت تلك السعادة][2]، وكنتُ قد عزمت على نَقْله إلى دمشق، ودَفْنه في تُرْبته، فأتاح الله بعضَ مماليكه فحمله في تابوتٍ، ودفناه في قُبَّته، [بين العلماء والفقهاء والمحدثين والقراء، وأعطاه الله في آخرته ما كان يتمناه في دنياه، وأناله أرفع

(١) في «عيون التواريخ»: ٢٠/ ١٢ كتاباً. قلت: وكأنه بمعناه.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

الدَّرجات، والأعمال بالنِّيَّات][1]، ولقد كان كثيرَ الصَّدقات، عظيم الصِّلات، اشتراه المعظَّم سنة سبع وست مئة [ونحن على الطور][1]، وفوَّض إليه أُستاذداريته، وظَهَرَ منه من العقل والسَّداد ما أوجب تقديمه على الأولاد، وأعطاه قلعة صَرْخد، وأقام بها يضاهي الملوك، [ولا فرق عنده بين الغني والصعلوك][1]، وقيل: إنه مات سنة سبع وأربعين [وست مئة، السنة التي مات فيها أيوب، رحمة الله عليهما][1].

## شهاب الدِّين غازي[2]

قد ذكرناه في عِدَّة أماكن، وكان شجاعاً شهماً [جَوَاداً][1] حُفَظَةً، لطيفاً، ينشد الأشعار، ويحكي الحكايات، وقد ذكرنا حَجَّه على العراق.

قال المصنف رحمه الله: اجتمعتُ به في الرُّها سنة اثنتي عشرة وست مئة، وأنا قاصِدٌ إلى خِلاط، فحضر مجلسي بجامع الرُّها، [وكان يوماً مشهوداً][1]، وأحسن إليَّ، وخدمني، ومما حكاه لسعد الدِّين مسعود بن تاج الدين شيخ الشيوخ، قال: قَطَعَ الكامل الفرات سنة اثنتين وثلاثين وست مئة بعسكرٍ لم يجتمع لصلاح الدين مثله، [قال][1]: فدخلتُ عليه يوماً، وعنده النَّاصر داود، فقال: تروح تخرب حصن منصور وتنهبه. فقلتُ له: يا خوند، ما يحل لي أن أقاتل المسلمين وأنهبهم، أنفذ غيري. فاغتاظ، وقال: والله إنَّ شُرْبَنا الخمر وفسقنا أجودُ من زُهْدك وذوكرتك، مثل ما رحت خلصت نهب الفرادى من أصحابنا وتمزهدت، ولو وقع لك ظُلْمٌ ظلمتَ، وهذا الآخر ـ عن الناصر ـ يوافقك في الخساف. قال: فقمتُ وخرجت، فلحقني الصَّلاح الإِرْبلي، وقال: قال لك السُّلْطان: لا تروح إلى حصن منصور، نحن نبعث غيرك. فقلتُ له: قُلْ له: والله ما أروح، ولو رسمت عليَّ، فلا حاجة إلى قولك.

قال سعد الدين: وأنشدني شهاب الدِّين: [من الطويل]

ومن عجبِ الأيَّامِ أنَّك جالِسٌ ... على الأرض في الدُّنيا وأنتَ تسيرُ
فَسَيْرُكَ يا هذا كَسَيْرِ سفينةٍ ... بقومٍ جلوسٍ والقِلاعُ تطير

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «نزهة الأنام»: ١٧٩ـ١٨٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ١٣٣ـ١٣٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وأنشد لأُسامة ابن منقذ: [من الطويل]

ولما التقينا بَعْدَ بُعْدٍ تحدَّرت ... دُموعي إلى أن كدتُ بالدَّمْعِ أغرقُ
فقلتُ لها يا عينُ هذا لقاؤنا ... فقالتْ ألسنا بعده نتفرَّقُ

وكَتَبَ على تقويم: [من البسيط]

إذا أردت اختيارَ السَّعْدِ فيه فقلْ ... على الذي في يديه السَّعْدُ اتَّكِلُ
سَلِّمْ إلى الله فيما أنتَ فاعِلُهُ ... فما إلى النَّجْمِ لا قَوْلٌ ولا عَمَلُ

ورثاه سعد الدِّين مسعود، فقال: [من الوافر]

ألا روَّى الإلهُ ترابَ قَبْرٍ ... حَلَلْتَ به شهابَ الدِّين غازي
وأَسْكنكَ المليكُ جِنانَ عَدْنٍ ... وكان لك المكافئ والمجازي
فَضَلْتَ النَّاسَ مكرمةً وجوداً ... فمالك في البَرِيَّةِ مِنْ موازي
وكنتَ الفارسَ البطلَ المُفَدَّى ... مبيدَ القِرْن في يوم البِرازِ
تُجَنْدِلُهُ بأبيضَ مَشْرَفيٍّ ... وتطعَنُهُ بأسمرَ ذي اهتزازِ

## السنة السادسة والأربعون وست مئة

فيها قايضَ الأشرف موسى صاحب حمص تل باشر بحمص مع الملك النَّاصر يوسف [بن الملك العزيز][1] صاحب حلب.

وخرج الصَّالح أيوب من مصر إلى دمشق، وجهَّز العساكر مع فخر الدين بن الشيخ إلى حمص، وسخَّر الفلاحين لحمل المجانيق إلى حمص، فكانوا يحملون عوداً قيمته عشرون درهماً إلى حمص، فيغرم عليه ألف درهم، فخرب الشَّام، وهرب أهله، ونصبوا المجانيق على حمص، وخرج عسكر حلب إلى لقائهم على حمص، وكان الشيخ نجم الدين الباذرائي بالشَّام، فدخل بين الفريقين، ورَدَّ الحلبيين إلى حلب والدِّمَشْقيين إلى دمشق، وعاد الصَّالح أيوب إلى مِصْر مريضاً في مِحَفَّة.

وفيها ولَّى جمالُ الدين بن يغمور فتحَ الدِّين بنَ العدل حِسْبة دمشق، وعَزَلَ النجم بنَ الشِّيرجي.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).